من قصة ابراهيم وقس عليه كونها معترضة في اثناء قصته قوله والقياس الاقتصار
عليه اى على الاضمار لانه لما ابرز اسم الله تعالى في قوله تعالى كيف يبدئ الله الخلق كان المناسب
ان يضمر بعد اينما ذكر كما اضمر في قوله ثم يعيده وفي قوله كيف بدأ الخلق قوله للدلالة على ان
المقصود بيان الاعادة وجه دلالته الافصاح عليه انه اذا ابرز اسم الله تعالى وجعل
مبتدأ يكون الكلام جملة اسمية مفيدة للثبوت والتأكيد بخلاف ما اذا اضمر وقيل ثم
ينشئ مع ان ابراز الاسم الجامع يدل على اعادة جميع الاوصاف المعتبرة في الابداء من
العلم والقدرة والحكمة والرحمة فهو كاسم الشأن في افادة هذا المعنى وابلغ فكان
بناء الحكم على الاسم الظاهر بمنزلة بنائه على علته قوله والكلام في العطف ما مر فكان
قوله ثم يعيده وليس معطوفا على قوله يبدئ الله لكون الرؤية غير واقعة على الاعادة
كما وقعت على الابداء بل هو معطوف على جملة قوله بدأ الخلق لكون النظر غير واقع
على الانشاء بل هو معطوف على جملة سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق وكل
واحد من المعطوف والمعطوف عليه داخل في حيز القول قوله وقرئ النشاءة بالمد
قراءة ابن كثير وابو عمرو والباقون بالقصر وسكون الشين وهما لغتان كالرأفة والرآفة
وانتصاب النشاءة على انه مصدر محذوف الزوائد والاصل الانشاءة او على حذف
العامل اى ينشئ فتنشئون النشاءة وفي الصحاح انشأه الله اى خلقه والاسم
النشأة والنشاءة بالمد ثم انه تعالى لما ذكر النشأة الآخرة الواقعة بعد الموت ذكر ما يكون
فيها وهو تعذيب اهل التكذيب والمعصية عدلا وحكمة واثابة اهل الانابة
فضلا ورحمة فقال يعذب من يشاء ويرحم من يشاء ثم قال واليه تقلبون مع
ان هذه المسئلة قد سبق اثباتها ولعل ذكرها لتقرير امر المجازاة كانه قيل ان تأخر عنكم جزاء
اعمالكم فلا تظنوا انه فات فان اليه ايابكم وعليه حسابكم وعنده مدخر ثوابكم وعقابكم
ثم قال وما انتم بمعجزين من اراد تعذيبكم وتنفيذ قضائه فيكم بالهرب عنه في الارض ولا في السماء
والخطاب لبني آدم وهم من اهل الارض وليس في وسعهم الهرب في السماء والمقصود
بيان امتناع الفوات على جميع التقادير ممكنا كان او مستحيلا هذا ان حمل الارض على الغبراء
والسماء على الخضراء ويجوز ان يراد بهما جهتي السفل والعلو والمهاوي جمع المهوى وهو ما
بين الجبلين ونحو ذلك وقيل هو ما بين الشيئين المنتصبين حتى يقال لبعد ما بين المنكبين
مهوى والقلاع جمع قلعة بسكون اللام وهي الحصن على الجبل قوله وقيل ولا من في السماء
ان عصوا فالكلام على هذا محمول على حذف الموصول الكسائى وبقاء صفته فيكون المحذوف

قضائه فيكم

٦٥٧

المحذوف معطوفا على انتم اى ما انتم بمعجزين في الارض ولا من في السماء بمعجزين ان عصوا
كقول حسان بن ثابت رضي الله عنه امن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء
اراد ومن يمدحه وينصره سواء ومن يهجوه فاضمر لانه لولا ذلك لكان يمدحه عطفا
على يهجو فكان داخلا في حيز صلة من يهجو فكان الهاجي والمادح شخصا واحدا فيختل المعنى
ولا يصح قوله سواء لان الاستواء انما يكون بين اثنين قيل ان ابا سفيان بن الحرث هجا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فعارضه حسان بن ثابت رضي الله عنه بقصيدة هذا البيت منها ولما
انتهى الى قوله هجوت محمدا فاجبت عنه وعند الله في ذلك الجزاء قال له النبي صلى الله عليه وسلم
جزاك الله الجنة ولما بلغ الى قوله فان ابي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء قال له النبي
صلى الله عليه وسلم وقاك الله حر النار ثم لما بلغ الى قوله اتهجوه ولست له بكفؤ فشركما لخيركما
الفداء قال من حضر هذا انصف بيت قالته العرب وفيها هجوت مطهرا برا حنيفا
امين الله شيمته الوفاء قوله اى ييئسون منها يوم القيمة جواب عما يقال اليأس مسبوق
برجائه وتصوره ومن كفر بالله تعالى وبالبعث والجزاء لا يرجو ولا يتصور رحمة
الله لانه لا يتصور يوم البعث واللقاء فضلا عن ان يتصور رحمته تعالى عند لقائه
فكيف يصح الحكم عليه بانه يئس من رحمته وتقرير الجواب الاول انه ليس المراد انهم يئسوا
في الدنيا ليلزم ما قلت بل هو كناية عن الوعيد والمعنى يحصل لهم اليأس من رحمة الله تعالى
يوم القيمة والتعبير بلفظ الماضي لتحقق وقوعه وتقرير الجواب الثاني ان اليأس من رحمته
تعالى عبارة عن عدم رجائها على طريق ذكر الملزوم وارادة اللازم والكفار آيسون من رحمته
تعالى في الدنيا بمعنى انهم لا يرجونها لما انكروا البعث والجزاء امتنع منهم ان يرجوا الرحمة
الواقعة يوم البعث قوله وقرئ بالرفع لان جواب قومه معرفة فيصح كونه اسم كان
الا ان الجمهور نصبوه على انه خبر كان قدم على اسمه لان قوله ان قالوا في تأويل المصدر
المضاف الى الضمير فكان اعرف من جواب قومه لان المضاف الى الضمير اعرف من
المضاف الى المضاف الى الضمير واعرف الاسمين اولى ان يكون اسم كان قوله وكان ذلك
قول بعضهم جواب عما يقال قوله الا ان قالوا اقتلوه يستلزم ان يكون الامر بالقتل لان
ضمير قالوا عبارة عن قوم ابراهيم وكذا الضمير المرفوع في اقتلوه ولا وجه لكون القوم
آمرين لانفسهم بقتله وتقرير الجواب ان الآمرين هم الاكابر والرؤساء والمأمورون هم
الاتباع والاعوان فليس هنا اتحاد الآمر والمأمور الا اسناد امر الاكابر الى الكل لان بدء
رضى الاتباع بذلك بمنزلة الامر فقيل فما كان جواب قومه الا ان قالوا مع انه لم يقل

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)